

تفسير ابن كثير

يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى : { وهو على كل شيء قدير } ثم قال تعالى : { الذي خلق الموت والحياة } واستدل بهذه الآية من قال إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملا كما قال تعالى : { كيف تكفرون بما ءوتوا فأحياكم } فسمى الحال الأول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى : { ثم يميتكم ثم يحييكم } وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن قتادة في قوله تعالى : { الذي خلق الموت والحياة } قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [إن الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء] ورواه معمر بن عطاء وقوله تعالى : { ليلوكم أيكم أحسن عملا } أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى : { وهو العزيز الغفور } أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب بعد ما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى : { الذي خلق سبع سماوات طباقا } أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهما خلاء فيه قولان أحدهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره . وقوله تعالى : { ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت } أي بل هو مصطبح مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى : { فارجع البصر هل ترى من فطور } أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى : { فارجع البصر هل ترى من فطور } أي شقوق وقال السدي { هل ترى من فطور } أي من خروق وقال ابن عباس في رواية { من فطور } أي من وهاء وقال قتادة { هل ترى من فطور } أي هل ترى خللا يا ابن آدم . وقوله تعالى : { ثم ارجع البصر كرتين } قال قتادة : مرتين { ينقلب إليك البصر خاسئا } قال ابن عباس : ذليلا وقال مجاهد وقتادة : صاغرا { وهو حسير } قال ابن عباس : يعني وهو كليل وقال مجاهد وقتادة والسدي : الحسير المنقطع من الإعياء ومعنى الآية إنك لو كررت البصر مهما كررت لا نقلب إليك أي لرجع إليك البصر { خاسئا } عن أن يرى عيبا أو خللا { وهو حسير } أي كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصا ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال : { ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح } وهي

الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت .

وقوله تعالى : { وجعلناها رجوما للشياطين } عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصاييح لا على عينها لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء بل يشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها وإِ أَعلم وقوله تعالى : { وأعدنا لهم عذاب السعير } أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات : { إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصل * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب } قال قتادة : إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال خلقها إِ زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به رواه ابن جرير وابن أبي حاتم